

الجمعة 14 رجب 1442 الموافق 26 فبراير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

الزواج وفوائده الدينية والدنيوية

عباد الله:

إن الزواج ضرورة إجتماعية لأجل بناء الحياة، وهو أمر تتطلبه الطباع المستقيمة والفطر السليمة، وقد أكدت عليه الشريعة في نصوصها الجليلة، قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: 3).

وأخبرنا العليم الحكيم أن الزواج من سنن النبيين والمرسلين، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: 38).

ورغب فيه النبي ﷺ ترغيباً شديداً فقال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتِطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود).

والمراد بالباءة: القدرة على مؤن النكاح. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، ولي طول على النكاح لتزوجت، كراهية أن ألقى الله عزباً».

ومن المفاهيم الخاطئة لدى كثير من الذكور والإناث حول الزواج، تأخيرها بحجة إكمال الدراسة، أو الحصول على الوظيفة، أو عدم الرغبة في الإرتباط المبكر، أو غير ذلك من الأسباب التي أوهمت بها عقول الناس، فقد يصل بعض الشباب إلى سن الثلاثين والأربعين وأكثر، وهو لم يفكر بعد في موضوع الزواج، وهذه مخالفة للسنة الشرعية كما هو مخالف للسنة الفطرية.

ثم إنه لا بد في عملية الزواج -أيها الناس- من الإختيار على أساس الدين والخلق لقول النبي ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَن تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَاَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ»، قالوا: «يا رسول الله وإن كان فيه»، قال: «إِذَا جَاءَكُمْ مَن تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَاَنْكِحُوهُ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)» (أخرجه الترمذي عن أبي حاتم المزني).

وقوله ﷺ: «تُنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (رواه البخاري عن أبي هريرة).

إخوة الإسلام:

وإنما أكد الإسلام على النكاح ورغب فيه؛ لما له من آثار طيبة وعواقب محمودة، تعود بالخير على الفرد وعلى الأسرة والأمة جميعاً، وإليك بعضاً منها:

1- أنه عبادة لله تعالى، وفيه الإهتمام بهدي رسول الله القائل: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (أخرجه النسائي عن أنس بن مالك).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»، قَالَ أَحَدُهُمْ: «أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا»، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي» (رواه البخاري).

2- من عواقب الزواج المحمودة، تحقيق السكن الروحاني والنفساني، والمودة والرحمة بين الزوجين، قال الله عز شأنه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: 189). قال ابن عباس: لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصري من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها؛ فلما انتبه رآها فقال: من أنت؟! قالت: امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي. (الجامع لأحكام القرآن م 1 ص 301).

3- الحفاظ على النوع الإنساني، وتكثير الأمة، وطلب النسل الصالح: فالزواج يستمر بقاء الإنسان ويتكاثر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: 72). ويؤكد هذا قول النبي ﷺ: «تَرَوْجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ» (أخرجه أبو داود عن معقل بن يسار). ولأن كثرة الأمة عز لها وقوة، وقد امتن الله على بني إسرائيل بأن جعلهم أكثر عدداً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء: 16).

إن الأولاد أيها الناس هم زهرة الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: 46)، هم سعادة للنفس، وانشراح للصدر، وهم كذلك مسؤولية جسيمة، وأمانة ثقيلة، والإسلام في نظرتهم إلى الذرية لا يهتم بالعدد ولا بالنوع، ولكن بالكيف، وفي القرآن الكريم قص الله عنا أخبار الأنبياء ومنها أنهم لم يطلبوا إلا ذرية طيبة وصالحة، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: 100)، ودعا نبي الله زكرياء ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: 38)، فالولد الصالح نافع لأبويه في حياتهما وبعد موتهما، وهو خير كنز يتركه المسلم من بعده، ولهذا يجب على المسلم أن يعتني بأبنائه، بتهديبهم وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، رجاء صلاحهم. قال النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم عن أبي هريرة). والذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور: 21).

4- من فوائد الزواج ومصالحه: تحقيق العفة، وهي: الكف عما لا يحل. إن دين الإسلام العظيم دين العفة والعفاف، ينفي الفاحشة ويحاربها، ويمنع المسالك التي تفضي إليها، وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج تحقيقاً لهذه الغاية، فقال جلّت قدرته: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: 30) والزواج من أكبر الأسباب المعينة على غض البصر وحفظ الفرج وهدوء خاطر واستقرار النفس.

5- من مقاصد الزواج أيضاً: سعة الرزق الحلال. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 32). والأيامى: جمع أيم، يطلق على المرأة التي لا زوج لها، وعلى الرجل الذي لا زوجة له، يقال: رجل أيم وامرأة أيم أيضاً. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى. وفي الحديث الشريف: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ»، وذكر النبي الكريم منهم: الناكح الذي يُريد العفاف (أخرجه الترمذي عن أبي هريرة).

6- ومن ثمراته أيضاً: تقوية الصلات والمعارف من خلال المصاهرة، واتساع دائرة الأقارب، فيدنون بعضها من بعض، وتتعارف وتتصل بعد أن كانت متباعدة، وبذلك تسود المجتمع روابط المودة والمحبة والصلة والقربى، وفي هذا خير كثير دينا ودنيا. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان: 54).

أيها الإخوة الكرام:

إن الحديث عن الزواج حديث ذو شجون، وسأختم خطبتي هذه بالتنبيه على إحدى العقبات التي تؤدي إلى تأخير الزواج أو تعسيره، تلكم هي عقبة غلاء المهور، وزيادة النفقات فوق طاقات المقبلين على الزواج، حيث صار الزواج بها أمراً شاقاً، ولا يطاق إلا بجبال من الديون.

أيها الناس:

إن المغالاة في المهور والمباهاة بها بدعة ومخالفة للهدى النبوي القائل: **«إِنَّ مِنْ يَمَنِ الْمَرْأَةُ تَيْسِيرَ خُطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»** (أخرجه أحمد عن عائشة). وقال: **«خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»** (عقبة بن عامر الألباني - صحيح الجامع). إن المهر في الإسلام رمز لإكرام المرأة والرغبة في الإقتران بها (مصطفى السباعي في كتاب: المرأة بين الفقه والقانون). والمغالاة في المهور تجعل الزوجة كأنها سلعة تباع وتشترى، مما يخل بالمروءة وينافي الشيم ومكارم الأخلاق.